الفصل الخامس:

التصميمات البحثية السردية

Narrative Research Designs

يتناول هذا الفصل النقاط التالية:

- تطور البحث السردي.
- الأنواع الرئيسية للدراسات السردية.
- بعض الأسئلة التي تعين الباحث على تحديد النوع المناسب منها لدراسته:

1- من يكتب القصة أو يسجلها؟ 2-ما القدر الذي يتم عرضه أو تسجيله؟

3- من يقدم القصة؟ 4- هل هناك منظور ايدولوجي وراء البحث؟

5- هل يمكن دمج هذه الأشكال السردية؟

- ما الخصائص الرئيسية للبحث السردي؟
- سمات البحث السردي

أولاً: الخبرات الشخصية ثانياً: تسلسل الخبرات

ثالثاً: جمع القصص الفردية رابعاً: إعادة سرد القصة

خامساً: تشفير أو ترميز المحاور سادساً: السياق

سابعاً: التعاون مع المشاركين

- الخطوات المتبعة في إجراء دراسة سردية.
- مثال لبحث سردي.
- معايير تقويم الدراسة السردية.

مقدمة:

يعيش الناس حياة من القصص، ويحكون للآخرين قصصهم؛ ليخبروهم عن أنفسهم، وعن حياتهم بالمدرسة، والفصل، وعلاقاتهم بالقضايا التعليمية، أو أماكن عملهم. عندما يحكي الناس للباحثين قصصهم يشعرون أن هناك من يستمع إليهم، كما أن ما يدلون به من معلومات تقرب الباحثين من الممارسة الحقيقية للتعليم. هذا وبالتالي يجعل القصص التي يتم الحصول عليها من خلال البحوث السردية تثري حياة كل من الباحث والمبحوث. وفيما يلي نُعرّف البحث السردي، ونحدد متى يمكن اللجوء إليه؟ وخصائصه الأساسية، وكذلك خطواته.

"اختارت إحدى الباحثات التصميم السردي لبحثها الذي يدور حول "الزواج العرفي" بين طلاب الجامعة، وقابلت الباحثة معلمة قصت عليها قصة عن طالبة في الجامعة كانت تخفي خبر زواجها عن أهلها. وتساءلت الباحثة: ما قصة الإخصائية التي وجدت هذه الطالبة؟ ثم قابلت الباحثة الإخصائية ، واستمعت لقصتها مع الطالبة ومع باقي أعضاء هيئة التدريس، وعميدة الكلية. وبعد أن استمعت الباحثة للإخصائية اشتركتا معاً في كتابة القصة والتقرير".

ما التصميم السردي؟

تأتي كلمة "سردي" **Narrative** من فعل **Narrate** أي يحكي تفصيلاً. ويصف الباحثون في تصميمات البحوث السردية حياة الأفراد، ويجمعون قصصاً عنهم، وعن خبراتهم؛ كأحد أشكال البحوث الكيفية التي يركز البحث فيها على شخص واحد فقط تُجمع بيانات عنه (في شكل قصص) وعن خبراته، ويناقش معنى تلك الخبرات للفرد.

متى نستخدم البحث السردي؟

نستخدم البحث السردي عندما تكون لدى فرد ما رغبة في سرد قصصه، وعندما نريد أن نكتب تقريرا عن تلك القصص؛ حيث يبحث التربويون عن الخبرات الشخصية داخل السياقات الحقيقية بالمدرسة؛ لذا فإن البحث السردي يقدم لهم ما يمكنهم من التأمل فيما هو كائن وفعلي. ويستطيع الباحث من خلال البحث السردي أن يقيم رباطاً قوياً بين المشاركين مما يقلل من النظرة للبحث على أنه منفصل عن الممارسة وبعيداً عما هو حادث بالفعل؛ فضلاً عن أن المشاركين في الدراسة يشعرون أن قصصهم تهم الباحثين. ومن خلال سردهم القصة يستطيعون استيعاب أمور كثيرة عليهم أن يتناولوها. ونظراً لأن سرد القصص يعد جزءاً طبيعياً من الحياة، فالأفراد لديهم قصص يحكونها لغيرهم، ومن ثم فإن البحث السردي يوفر بيانات طبيعية من الحياة اليومية للأفراد.

ويستخدم الباحث البحث السردي عندما تكون القصص ذات أحداث تتابعية؛ لذا فإن البحث السردي يعد شكلاً أدبياً للبحث الكيفي، وذا صلة وطيدة بالأدب، ويستوجب من الباحث أن يكتب بشكل أدبي مقنع، كما يركز على القصص الفردية بشكل تحليلي، وليس على الصورة العريضة للثقافة، ومعاييرها كما في الدراسات الاثنوجرافية، أو النظريات المجردة كما في بحوث النظرية التأسيسية **Grounded Theory** . ولنضرب مثالاً على تلك الصورة التحليلية **micro-analytic picture** فمثلاً تحكي "سعاد" التي تقوم بالتدريس لفصل به أحد أبنائها عن حياتها. ويحكي" أحمد" ذو التسع سنوات الذي يعتبر نفسه مخترعاً، ويكتب في سجل علمي عن اختراعاته. ويحكي طفل آخر يبلغ أحد عشر عاماً عن الأوقات الجميلة التي قضاها في حمام السباحة وفي تعلم الكرة، ونجاحه، ... إلخ.

كيف تطور البحث السردي

علـــى الرغم من الاهتمام بالبحث السردي؛ إلا أن طرائقه مازالت تتطور، ومازال موضع نقاش في الأدبيات؛ مما تولد عنه عدم وجود اتفاق كـــامل حـــول شكله. فهو كما يسميه "ريسمان" **Riessman(1993)** تحول ســـردي **Narrative turn** يضم كل العلوم الإنسانية لدرجة أن هذا الشكل مـــن البحـــث ليس محط اهتمام مجال محدد من الدراسة؛ فمن يكتبون في الأدب، والتاريخ، والانثربولوجي، وعلم الاجتماع، وعلم الاجتماع اللغوي، والتربية كل هؤلاء لهم صلة بهذا النمط البحثي- فمثله مثل الفن- فإن هذا الـــنوع يرسم صوراً للأفراد، ويسجل **document** أصواتهم، ورؤاهم فيما يخص السياقات الاجتماعية والثقافية.

لكـــن النظرة الشاملة لهذا التصميم البحثي في التربية لم تظهر إلا فـــي التســـعينيات علـــى يـــد كل من "جين كلاندنين" **Jean Clandinin**، و"ميشـــيل كونيلي" **Michael Connelley**؛ فلقد نشرا مقالة بعنوان "قصص الخـــبرة و الاستقصاء السردي **Stories of Experience and Narrative Inquiry** فـــي مجلـــة الباحث التربوي عام 1990م. ولقد ذكرا العديد من تطبيقات تصميم البحوث السردية في العلوم الاجتماعية. كما شرحا عملية جمـــع الملاحظات الميدانية السردية **narrative field notes**، وناقشا بيئة الدراسة السردية، وكيفية كتابتها. واشترك نفس الباحثين مؤخراً في تحرير كـــتاب بعـــنوان "التقصـــي الســـردي" **Narrative Inquiry** عام 2000م يشرحان فيه الإجراءات التي يقوم بها الباحثون السرديون.

أمـــا فـــي مجال التربية فقد تأثر تطور البحث السردي بالعديد من التيارات. فيرى "كورتازي" **Cortazzi(1993)** مثلاً أنه توجد ثلاثة تيارات تتمثل في:

أولاً: يوجد اهتمام وتركيز على تأمل المعلم.

ثانياً: التركيز على معرفة المعلم؛ مثل: ما يعرفه، ويعتقده، وكيف يتطور مهنياً، وكيف يتخذ القرارات داخل الفصل.

ثالثاً: الاهتمام بإتاحة الفرصة للمعلم ليتحدث عن خبراته.

ما أنواع التصميمات السردية؟

للبحث السردي أنواع عديدة(Casey,1996)؛ كما تظهر بالجدول (5-1)

.1	السير الذاتية **Autobiographies**	.8	دراسات اثنوجرافية ذاتية**Auto ethnographies**
.2	السير الحياتية **Biographies**	.9	دراسات اثنوجرافية نفسية**Ethno-psychologies**
.3	التقارير الشخصية **personal accounts**	.10	القصص الحياتية أو الحية **Life stories and life histories**
.4	القصص الشخصية **Personal documents**	.11	السير الشفهية **Oral histories**
.5	المقابلات السردية **Narrative interviews**	.12	السير الشعبية **Ethno-histories**
.6	الوثائق الشخصية **Personal documents**	.13	الأحداث والذكريات الشعبية **Ethno-biographies popular memories**
.7	وثائق حياتية **Documents of life**	.14	الدراسات الاثنوجرافية المتركزة حول الشخص **Person-centered ethnographies**

وفيما يلي بعض الأسئلة التي تعين الباحث على تحديد النوع المناسب منها لدراسته:

2- من يكتب القصة أو يسجلها؟

يعد تحديد من يكتب أو يسجل قصة الفرد من المحددات الرئيسة في البحث السردي؛ فسيرة الشخص أو تاريخه يعدان دراسة سردية يكتب فيهما الباحث، ويسجل خبرات شخص آخر. وتستقى المعلومات من السجلات، والمقابلات، والصور، وغيرها. أما السيرة الذاتية يمثل الفرد فيها موضوع الدراسة، ويكتب بنفسه التقرير. وعلى الرغم من أن هذا النوع ليس منتشراً ، فإن بعض المعلمين يكتبون سيرهم الذاتية على اعتبار أنهم أشخاص محترفون.

3- ما القدر الذي يتم عرضه أو تسجيله؟

يقدم لنا هذا السؤال محدداً آخر للدراسات السردية؛ حيث توجد في علم الإنسانيات **anthropology** أمثلة عديدة لقصص كاملة عن حياة الأفراد. فتاريخ حياة الفرد عبارة عن قصة كاملة تضم كل الخبرات الحياتية. ويهتم علماء الإنسانيات بمثل هذه النوعية من الدراسات؛ ليكشفوا عن حياة الفرد داخل السياق الثقافي، وفي تفاعله مع الجماعة. كما يركزوا على النقاط التحولية في حياة الأفراد والأحداث المهمة. أما في التربية فالأمر مختلف حيث يكون التركيز لا على حياة الفرد بأسرها؛ بل يقتصر الاهتمام على حدث أو مجموعة أحداث محددة، أو مواقف خاصة، أو تقليد شائع... إلخ؛ مما يعني أن الخبرة الشخصية يمكن أن تتسع لتضم خبرات شخصية، واجتماعية، ويمكن أن نضرب مثالاً لهذا بخبرات المعلمين التدريسية في المدارس.

4- من يقدم القصة؟

تعد الإجابة عن هذا السؤال مدخلاً ثالثاً لتحديد نوع البحث، ويرتبط هذا العامل على وجه الخصوص بالتربية؛ حيث نجد أن التربويين والمتعلمين هم محور الاهتمام في كثير من الدراسات السردية. فعلى سبيل المثال فإن قصص المعلمين التي يدلون بها تقدم صورة عن خبراتهم الشخصية. ويمكن للباحثين أيضاً أن يبحثوا في خبرات المعلمين على اعتبار أنهم محترفون في مهنة التدريس. وعلى اعتبار أن ذلك يمكنهم من فحص عملية التعلم داخل الفصول. وتتخذ بحوث سردية أخرى من المتعلمين محوراً لها؛ يسأل الباحث المتعلمين في الفصول أن يسردوا قصصاً عن خبراتهم التعليمية سواء بشكل شفهي أو كتابي. ويمكن لعديد من الأفراد داخل السياقات التعليمية أن يقدموا القصص؛ مثل المديرين، وأعضاء مجالس المدرسة،وأولياء الأمور، وغيرهم.

5- هل هناك منظور أيدولوجي وراء البحث؟

إلـــى أي مدى يستخدم الباحث أو يسترشد بهيكل أيدولوجي للدفاع عـــن الأفراد والجماعات وكتابة التقرير؟ فقد يدافع الباحث مثلاً عن المرأة متبنـــياً فكـــراً دينياً ما، وقد يجمع الباحث قصصاً عن الأمهات المثاليات واللواتي نادراً ما يمنحن الفرصة لسماع أصواتهن.

6- هل يمكن دمج هذه الأشكال السردية؟

مـــن الممكـــن ذلك في دراسة واحدة ؛ فعلى سبيل المثال قد تكون الدراسة عن السيرة الخاصة بأحد المشتركين في الدراسة، وقد تكون نفس الدراســـة ذات طبـــيعة شخصـــية تدور حول معلم، وقد تدور حول حدث جوهـــري فـــي حـــياته؛ مثل فصله من المدرسة. وبذلك يكون موضوع الدراســـة جـــزءاً من حياة الفرد، أو حياته كاملة. فضلاً عن ذلك فإن كان الفـــرد امرأة ، فإن الباحث قد يتخذ توجهاً نظرياً ليبحث القضايا المرتبطة بالسلطة، والنفوذ في المدرسة بما يقود إلى دراسة ذات طابع أنثوي؛ وبذلك يصـــبح نـــتاج كـــل ذلك دراسة تضم خليطاً من العناصر المتباينة: سيرة شخص، قصة شخصية، قصة معلم، وتوجهاً أنثوياً.

وفـــي ضـــوء ذلك أي من أنواع البحث السردي يستطيع الباحث الذي استمع لقصة الطالبة التي تزوجت عرفياً بالجامعة؟

- هل يكتب القصة الباحث أم الأخصائية؟
- هل يهتم الباحث بحياة الشخص كلها أم فقط جزء أو حدث منها؟
- هل يحكي القصة للباحث؟
- هـــل يدافع الباحث في دراسته عن وجهة نظره في ضرورة ضبط هذه الظاهرة بالجامعة؟

إن الإجابة عن هذه الأسئلة تحدد نوع التصميم السردي للدراسة.

ما الخصائص الرئيسية للبحث السردي؟

على الرغم من تعدد أشكال البحوث السردية، فإنها تشترك جميعاً في عدد من الخصائص، وسنوضح في الشكل (س-1) خصائص البحث الكيفي، وكيف تطبق على البحث السردي.

السمات الرئيسة للبحث السردي

- خبرات الفرد: تفاعلاته الشخصية والاجتماعية.
- تسلسل الخبرات: الخبرات الماضية، والحالية، والمستقبلية.
- قصص حياتية على لسان الشخص، أو تقارير شفهية للأحداث، أو نصوص ميدانية (البيانات).
- إعادة سرد القصص (أو كتابة ما وراء القصة **metastory**) من خلال النصوص الميدانية.
- تشفير أو ترميز النصوص الميدانية في صورة محاور أو فئات **Themes or categories**.
- إدماج السياق والمكان في القصة والمحاور السابقة.
- تعاون بين الباحث والمبحوثين ومشاركة بينهم في الدراسة؛ في التفاوض والمناقشة حول النصوص الميدانية.

شكل (5-1) خصائص البحث الكيفي، وكيفية تطبيقها على البحث السردي

إن الباحث في البحث السردي يبحث، ويتقصى مشكلة تربوية من خلال فهم خبرات فرد. ولا تلعب الأدبيات في البحوث الكيفية بصفة عامة سوى دوراً بسيطاً خاصة في توجيه الأسئلة البحثية؛ فالتركيز يكون على العينة، أو المشاركين في البحث داخل السياق الفعلي، وذلك من خلال القصص التي يسردونها. إن القصص التي تستخلص منها البيانات عبر

لقاءات ومحادثات غير رسمية تسمى نصوصاً ميدانية **Field texts** وتمدنا بالبيانات الخام التي يحللها الباحث، فيعيد سرد القصة مرتكزاً على العناصر القصصية؛ مثل: المشكلة، والشخصيات، والزمان، والمكان، والأحداث، والحل. ويحدد الباحث في هذه العملية المحاور المنبثقة من تلك القصة؛ ومن ثم فإن تحليل البيانات الكيفية يتم بوصف القصة، وتلك المحاور **Themes** التي تظهر.

كما أن الباحث يكتب داخل القصة التي يعيد إنشاءها سلسلةً من الأحداث التي تصف خبرات الشخص الماضية، والحاضرة، والمستقبلية داخل سياقات معينة. ولا يكون الباحث أثناء عملية جمع البيانات وتحليلها بمعزل عن المفحوص، أو المشارك؛ فهو يتحقق من القصة، ويتفاوض في معنى البيانات؛ فضلاً عن ذلك فإن الباحث قد ينسج قصته الشخصية في التقرير النهائي.

ونستطيع بذلك تلخيص السمات الرئيسية للبحث السردي في النقاط التالية:

- خبرات فردية
- تتابع أو تسلسل الخبرات
- جمع قصص شخصية
- إعادة سرد القصص
- **ترميز أو تشفير المحاور Coding for themes**
- السياق والمكان والزمان
- التعاون مع المشاركين.

ويوضح جدول (5-2) التقابل بين خصائص البحث السردي مع خصائص البحث الكيفي خلال عملية البحث تمهيداً لمناقشة تلك الخصائص أو السمات تفصيلاً.

جدول(5-2) عملية البحث، خصائص البحث الكيفي، خصائص البحث السردي

عملية البحث	خصائص البحث الكيفي	خصائص البحث السردي
تحديد المشكلة البحثية	تتطلب المشكلة الكيفية تقصي وفهم.	يسعى لفهم الخبرات من خلال ما يعيشه ويحكي عنه فرد أو أفراد من قصص.
مراجعة الأدبيات	تلعب الأدبيات دوراً ثانوياً.	دورها ضئيل فالتركيز يقع على خبرات الفرد أو الأفراد.
تحديد الغرض والأسئلة البحثية	الغرض من البحث الكيفي يصاغ في صورة أسئلة بحثية عامة وعريضة	تسعى لتقصي معنى الخبرات الفردية كما تعكسها القصص.
جمع البيانات الكيفية	يعتمد جمع البيانات الكيفية على استخدام البروتوكولات Protocols التي تتطور عبر الدراسة. • تتضمن البيانات نصوصاً أو صوراً. • يقتصر جمع البيانات على عدد صغير من الأفراد أو المواقع.	تسعى لجمع نصوص ميدانية Field texts وهي التي توثق قصة الفرد بلغته هو.

تحليل البيانات الكيفية وتفسيرها	تتمثل تحليل البيانات الكيفية في: • تحليل النصوص. • وصف المعلومات وتطوير المحاور • التفسيرات الكيفية تتوصل للنتائج من خلال معانٍ أوسع.	• تسعى لتحليل القصص بعد إعادة سردها. • تسعى لتحليل القصص من خلال تحديد المحاور التي تقع فيها المعلومات. • تسعى لتسكين القصة داخل حدود المكان والزمان. • تسعى لتحليل القصة وتحدد منها تتابع المعلومات عن ماضي الفرد وحاضره ومستقبله.
كتابة الدراسة وتقويمها	• يستخدم مع التقارير الكيفية هياكل مرنة ومعايير تقويمية. • يتخذ الباحثون الكيفيون مدخلاً متحيزاً وانعكاسياً Reflexive & biased approach	• اندماج مع المشترك عند كتابة البحث. • كتابة البحث (إعادة سرد القصة) على نحو مرن. • تقديم الدراسة اعتمادا على عمق الإقناع ودقته ودرجته ومدى الواقعية بها.

سمات البحث السردي

تتمثل سمات البحث السردي فيما يلي:

أولاً: الخبرات الشخصية Individual experiences

يـــدرس الباحث في أغلب البحوث السردية شخصاً واحداً، ويركز على خبرات هذا الشخص أو مجموعة من الأشخاص. وفي دراسة أجريت علـــى معلـــم المـــرحلة الابتدائية قام الباحث بجمع قصص حول تخطيطه للدروس يومياً، وما يقوم به بالفعل، أو ما ينفذ من ذلك التخطيط.

وفضلاً عن دراسة الشخص فإن الباحث يهتم بتقصي خبراته والتي يقســـمها "كونيلي وكلادينان" **Connelly & Clandinin(2000)** إلى خبرات شخصـــية (مـــا لـــدى الفـــرد من خبرات)، واجتماعية (تفاعل الفرد مع الآخريـــن). وتنطلق هذه الرؤية من أفكار "جون ديوي" الذي أكد على أن خـــبرات الفـــرد يمكـــن أن تكون عوناً لفهم شخصيته. وللخبرات طبيعة اســـتمرارية فالخبرة تقود إلى غيرها، ومن ثم فإن الباحث يدرس خبرات الفـــرد الماضية، وكيف ساهمت في بناء خبراته الحالية، وكيف تسهم في خبراته المستقبلية.

ثانياً: تسلسل الخبرات Chronology of the Experiences

يعـــد فهم ماضي الشخص، وكذلك فهم حاضره وماضيه عنصراً مهمـــاً في البحث الكيفي؛ حيث يحلل الباحث الكيفي ذلك التسلسل الخبري للفـــرد. فتلك الخبرات يمكن أن توظف لاشتقاق معلومات تفيد في فهم ما يهـــدف إليه الباحث. ونعني بالتسلسل هنا أن الباحث يحلل حياة الشخص ويكتبها متبعاً تسلسلاً زمنياً للأحداث. فعلى سبيل المثال إن أجريت دراسة عن استخدام المعلم للكمبيوتر في المدرسة الثانوية، يجمع الباحث معلومات

عــن خبرة المعلم الماضية بهذا الجهاز، واستخدامه له في الوقت الحالي، وطموحاته المستقبلية في هذا الصدد.

ثالثاً: جمع القصص الفردية Collecting Individual Stories

عــند اتــباع المنظور التسلسلي في عرض خبرات الفرد، فإن الباحث في الــبحوث السردية يطلب من المبحوث أن يحكي له قصة (أو قصصاً) عن خبراته. ويعطي اهتماما كبيراً لما يقصه الأفراد، وما يجمعه من نصوص ميدانية، وما يحصل عليه من خلال المحادثات غير الرسمية، أو المقابلات الفردية **One-on-one interviews**. ويلاحظ في هذا القصص وجود بداية، ووســط، ونهايــة، وشخصــيات، وصراع، وأحداث، وحبكة (السببية في الأحــداث) ومكان، وزمان، وتتطور الأحداث حتى تصل للذروة، ثم تحل المشكلة، أو العقدة بعد ذلك. وذلك كما في الأعمال الأدبية.

فضــلاً عــن القصص، فإن النصوص الميدانية **Field texts** التي تمــثل المعلومــات يســتطيع الباحــث جمعهــا من مصادر شتى؛ مثل: المناقشــات، والمحادثــات، والمقابلات بين الباحث، والمبحوث. ولكن قد تكــون الدراسة حول سيرة ذاتية للباحث يقوم فيها بتأمل قصته، ودمجها، ونسجها مع قصص الآخرين، فعلى سبيل المثال يناقش باحثان كيف ربطا قصتيهما بقصة معلم المرحلة الثانوية الذي قرر أن يترك عمله بالمدرسة.

وتعد التقارير التحريرية **Journals** هي الأخرى شكلاً آخر يجمع من خلاله الباحث القصص، وكذلك الملاحظات الميدانية **Field notes** التي يكتــبها إمــا الباحــث أو المــبحوث. وهناك أيضاً الخطابات التي يكتبها المــبحوثون فــيما بيــنهم، أو المشــاركون فــي البحث، أو بين الباحث والمبحوثين. وهناك الصور، والذكريات الأسرية، وغيرهم.

رابعاً: إعادة سرد القصة Restoring

بعد أن يحكي الأفراد قصصهم، وخبراتهم يقوم الباحث بإعادة سردها بكلماته **(retell/restory/remap)** وهذا بغرض إضفاء شيء من النظام والتتابع للقصة. وإعادة السرد عبارة عن عملية يجريها الباحث ليحلل القصص لعناصرها الأساسية: (المكان والزمان، والأحداث، "الحبكة القصصية" ...) ثم يعيد كتابة القصة مع وضعها في تتابعها الذي غالباً ما يفتقد عندما يحكيها الأفراد. أما مع الباحث فالقصة تتتابع بمنطقية، ويربط أحداثها خط من السببية.

وفيما يلي مثال يوضح عملية إعادة سرد قصة لطالب في المرحلة الثانوية يحاول الإقلاع عن التدخين؛ وفيما يلي مراحلها:

1) قام الباحث بمقابلة، وسجلها، ثم كتبها.
2) أعاد الباحث كتابة المقابلة (التي قدمت بيانات خام) مع تحديد العناصر الرئيسة للقصة "المكان والزمان، الشخصيات، المشكلة، الحل"
3) يعيد الباحث سرد قصة الطالب مع تنظيم تلك الشفرات داخل تتابع منظم. وقد يختلف الترتيب من باحث لآخر؛ فقد يبدأ باحث بالزمان والمكان"S"،، ثم الشخصيات"C"، فالمشكلة "P"،، فالحل"R"،. وباحث آخر يتبع تسلسلاً آخر.

ولمزيد من الوضوح فإن الباحث ينظم تلك العناصر داخل جدول كالجدول التالي (5-3):

جدول (5-3) عناصر إعادة سرد القصة (Ollerenshaw& Creswell,2000)

كتابة المقابلة المسجلة (بيانات خام)	إعادة كتابتها (بواسطة الباحث)	إعادة سرد القصة (بواسطة الباحث)
نعم لقد كانت المرة الأولى لكنني أتذكرها جيداً. تقريباً منذ عام مضى، حاولت الإقلاع عن التدخين، وتوقفت عنه لمدة تقرب من شهر أو أكثر. وأعتقد إنني لم أرغب في العودة ثانية؛ حتى قابلت أحد الرفقاء الذين أحبهم، ولقد كان صديقاً لصديقي، وكنا نعمل جميعاً في محل "ماكدونالز" بعد المدرسة حتى يغلق. لقد عانيت من نوبات النيكوتين كثيراً فأشعر بدوار وبرغبة في استنشاق هواء نقي، لكن أشعر أيضاً برغبة في أن تدخين سيجارة (فقط أحب ذلك) وأصطدم بجدران الغرفة. كنت أهدأ بعد فترة لكنني عدت بعد شهر. كان يقف أصدقائي في الخارج ليدخنوا بجوار الشجرة. كنت أنظر إليهم ولدي رغبة، وعندما دعوني كنت أقول لا لا أحاول الإقلاع. لكنني لم أقوى. كنت أعود للمنزل وأنام أو أدخل للمدرسة حيث إن التدخين بها ممنوع ولقد سبب لي ذلك ضيقاً. وبدأت زميلتي في الخروج مع صديقي فزاد شعوري بالضيق وعدت للتدخين على يديها.	منذ عام C و S حاول الإقلاع عن التدخين. "لم أدخن لمدة شهر". P لقد كانت زميلتي. "C "وكنت أحبها" A في ماكدونالز "S" لكنها لم تكن تحبني "كانت تحب صديقي الحميم" C "كنت أعاني من نوبات نيكوتين" كنت أشعر بدوار ورغبة في تدخين سيجارة واستنشاق هواء نقي A وقد يصل الأمر إلى الاصطدام والتخبط في الجدران A "وبعدها كنت أهدأ" A. كان أصدقائي C يدخنون خارج المدرسة بجوار الشجرة S وكانوا يدعونني لمشاركتهم التدخين A " وكنت أرد لا لقد أقلعت عنه" A وكنت أدخل المدرسة Sلكنني كنت أشعر بالضيق والإحباط A وكانت تخرج مع صديقتي A فسرعان ما عدت للتدخين ثانية. هذه الحكاية لتذكرها دوماً فلم نعد أنا وهي بعدها أصدقاء R.	• منذ عام كنت أعمل في "ماكدونالز" وأقلعتن عن التدخين لمدة شهر. • كنت أعاني نوبات نيكوتين فكنت أشعر بدوار وتخبط، واختناق. • كنت أخرج. • أرى أصدقائي يدخنون بجوار الشجرة. • شعرت برغبة في سيجارة. • دخلت المدرسة. • عدت للمنزل ونمت. • هدأت بعدها. • بدأت زميلتي تخرج مع صديقي. • شعرت بالإحباط والضيق. • سحبت سيجارة أو اثنين. • عدت بعدها للتدخين. • لم نعد بعدها أنا وهي أصدقاء. • **نظام التشفير:** • الموقف S: Setting. • الخصائص C: Characters. • الأفعال A: Actions. • المشكلة P: Problem. • الحل R: Resolution.

يصـــف هذا الجدول العناصر الخمسة المستخدمة في إعادة السرد. **فالمكـــان والـــزمان Setting** يضـــم الموقف بحدوده الزمانية، والمكانية. **والشخصـــيات** قـــد تعـــرض وتناقش سماتها، وسلوكياتها، وأنماطها. أما **الأحداث** فهي تحركات الشخصيات في القصة؛ مثل: سلوكياتهم وتفكيرهم. وتمـــثل **المشـــكلة** ذلـــك السؤال الذي ينبثق داخل القصة أو الظاهرة التي تحتاج لوصف أو شرح. أما **الحل** فهو المخرج الناتج بعد مواجهة المشكلة؛ إنه إجابة السؤال، أو النتيجة، أو الخلاصة التي انتهت إليها القصة، والتي قد تقدم تفسيراً مما سبب تغيراً للشخصية عبر القصة.

وتعـــد العناصر السابقة جزءاً مما يبحث عنه الباحث في البحوث السردية، فهناك:

- **الـــتفاعل Interaction**: التفاعل الشخصي المعتمد على مشاعر الفرد، وآمالـــه، وردود أفعاله، وميوله، وكذلك تفاعلاته الاجتماعية التي تضم أنـــاس آخريـــن، فضـــلاً عـــن أغراضـــه، ونوايـــاه، وافتراضـــاته، ووجهات نظره.
- **الاســـتمرارية Continuity**: يقصـــد بها الاهتمام بالماضي، والحاضر المرتبطين بخبرات حدث ما، والمستقبل، وما به من خبرات محتملة.
- **الموقـــف Situation**: يقصـــد بـــه المعلومـــات حول السياق، المكان، والزمان، والبيئة الفيزيقية، أغراض، ووجهات نظر الشخصية.

جدول (5-4) البيئة ثلاثية الأبعاد للبحث الكيفي

التفاعل		الاستمرارية			الموقف
شخصي	اجتماعي	الماضي	الحاضر	المستقبل	
النظر داخل الفرد من مشاعر وأمال وردود أفعاله وميوله الخلقية	النظر لما هو خارج الفرد من بيئة وأفراد آخرين لهم نوايا وأغراض وافتراضات	النظر للخلف بتذكر قصص وخبرات حدثت في الماضي	النظر في قصص حالية للتعرف منها على خبرات وأحداث مرتبطة بموضوع معين.	النظر للأمام أي للمستقبل وما ينطوي عليه من خبرات محتملة.	النظر للسياق والزمان والمكان والبيئة الفيزيقية التي تحكم الشخصيات وتؤثر في نواياهم وأغراضهم ووجهات نظرهم.

خامساً: تشفير أو ترميز المحاور Coding for Themes

مثله مثل بقية البحوث الكيفية؛ فإن البيانات يمكن تجزئتها إلى محاور، أو فئات بما يضيف ثراءً، وعمقاً في فهم خبرات الشخص. وفي الغالب يكون عدد تلك المحاور 5-7، وقد تكون متضمنة داخل القصة، أو منفصلة بجزء خاص بها داخل الدراسة. ومن المعروف أن هذه المحاور تتبع سرد القصة.

سادساً:السياق Context or setting

يصف الباحث تفصيلاً السياق الذي يكتسب فيه الفرد خبرة، أو يتعرض منها لحدث يمثل الظاهرة الرئيسة موضع البحث. وقد يتمثل السياق في البحث السردي في مجموعة الأصدقاء، والأسرة، ومكان العمل، والمنزل، والمنظمات الاجتماعية، أو المدرسة. إنه باختصار المكان الذي تحدث فيه القصة. وتختلف الأبحاث في تناولها للسياق فقد يبدأ الباحث حديثه بالسياق قبل البدء في عرضه الأحداث، وفي حالات أخرى يكون الحديث عن السياق متضمناً في نسيج القصة.

سابعاً: التعاون مع المشاركين Collaborating with Participants

تعنـــي كلمة **Collaboration** في البحث السردي الاندماج النشط للمـــبحوث فـــي البحث. ويتضمن ذلك عدة خطوات منذ بدء البحث؛ حيث صـــياغة الظاهرة الأساسية، وتحديد أي أنواع النصوص الميدانية تفيد في كـــتابة قصة خبرات الفرد. ويتضمن أيضاً محاولة الوصول بالعلاقة بين الباحـــث والمـــبحوث ما يضيق الفجوة بين ما يقوله المبحوث، وما يكتبه الباحث في تقريره. وهناك أيضاً شرح غرض الدراسة للمبحوث، والانتقال معه من مرحلة جمع البيانات إلى كتابة القصة.

خطوات إجراء بحث سردي

بغـض الـنظر عن نوع البحث السردي فإن الباحث يتخذ إجراءات سبعة تتمثل في الشكل (5-4):

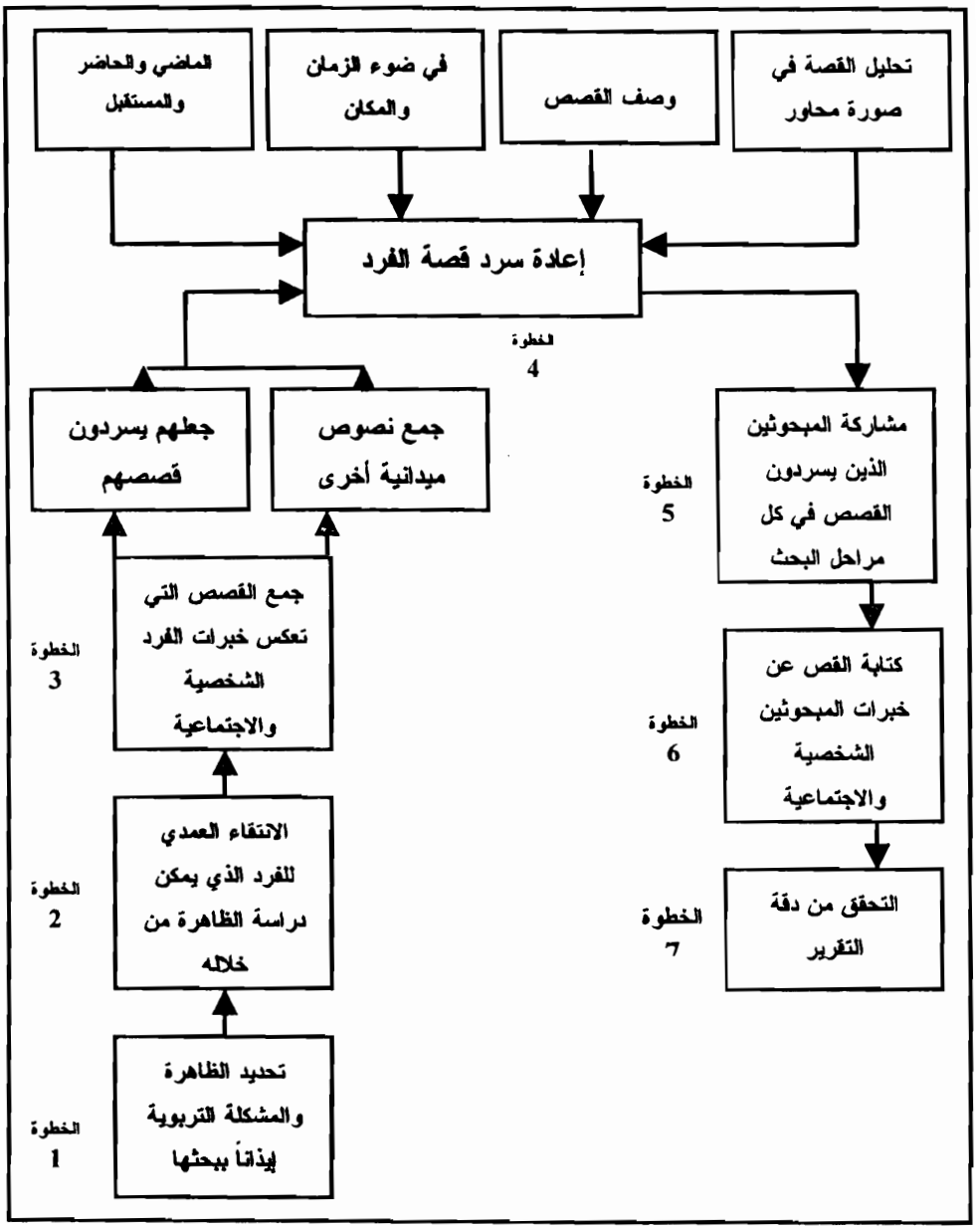

شكل (5-4) خطوات البحث السردي

1- تحديد الظاهرة أو المشكلة التربوية

يبدأ البحث بتحديد مشكلة البحث استعداداً لدراستها. وعلى الرغم من أن الظاهرة موضع الاهتمام في البحث السردي هي القصة، فإن الباحث يحتاج تحديد القضية بدقة. مثال على ذلك فإن القضية قد تتمثل في قصص عن الصعوبات التي يواجهها الباحث، وكذلك الطالب المعلم نتيجة تعدد، واختلاف احتياجات الطلاب. فتهتم الدراسة إذن بالطلاب الذين يستثنون بعضهم بعضا، ويستخدمون كلمات جارحة مع بعضهم، ويلجئون للعنف، والغضب في حل المشكلات. وعندما تتقصى مشكلة كهذه على الباحث أن يفهم الخبرات الشخصية، والاجتماعية للفرد أو الأفراد في السياق التعليمي.

2- الانتقاء العمدي للفرد الذي يمكن دراسة الظاهرة عبره

بعد ذلك يبحث الباحث عن الفرد أو الأفراد الذين يمكن أن يعينوا الباحث على فهم الظاهرة.

3- جمع القصة من الفرد

يجمع الباحث هنا النصوص الميدانية التي تعكس خبرات الفرد. وتعد الطريقة المثلى للحصول على قصة الفرد هو أن نجعل الفرد يحكي عن خبراته عبر المحادثات، والمقابلات؛ وفيما يلي سبل أخرى تفيد في ذلك:

أ- اجعل الفرد يسجل في يومياته قصته.

ب- لاحظ الفرد وسجل ملاحظاتك.

ج- اجمع الخطابات التي أرسلها الفرد.

د- استمع لأفراد أسرة الفرد.

ه- اجمع وثائق كالسجلات، والمذكرات ...

و- اجمع الصور، والمقتنيات الشخصية، والأسرية، والاجتماعية.

ز- سجل الخبرات الحياتية للفرد (الموسيقى، الأفلام، الفن، الأدب، ... إلخ).

4- أعد سرد قصة الفرد

بعد ذلك تراجع البيانات التي تم الحصول عليها من القصة، ويعاد سردها، وتتضمن هذه العملية ما يلي:

- فحص البيانات الخام.
- تحديد عناصر القصة.
- تتبع عناصر القصة وتنظيمها.

وتكمن أهمية إعادة سرد القصة في أن كلاً من القارئ، أو حتى المستمع يستطيع فهم خبرات المبحوث إذا تم ترتيب القصة في تتابع منطقي، ولقد سبق لنا الإشارة إلي أن لكل بحث أسلوبه في البدء بالشخصيات، أو بالأحداث، أو المكان، أو الزمان ..

5- المشاركة أو التعاون مع المبحوث أو راوي القصة

من أشكال المشاركة والتعاون الحصول على نصوص تكشف خبرات الفرد، كتابة وإعادة سرد القصة.

6- كتابة قصة عن خبرات المبحوث

تعد هذه الخطوة رئيسة في عملية البحث، ولنعلم أنه لا توجد طريقة واحدة لكتابة التقرير السردي. ومن المفيد تضمين ملامح متعددة للقصة. والجدير بالذكر أن الباحث في البحث السردي يجمع بين الأدب، والبحث ليصل لتفسير الظاهرة، أو حل للمشكلة.

7- التحقق من دقة التقرير

يمكن التحقق من دقة التقرير من خلال التعاون الحادث بين المشاركين في البحث والباحث. ويمكن تحقيقه من خلال عدة طرق؛ مثل:

فحـــص الأرقام، والجمع بين أكثر من مصدر للبيانات، والبحث عن أدلة وافية. كل ذلك يفيد في التحقق من مصداقية القصة، وموثوقيتها.

مثال لبحث سردي

تلقـــى الباحث مكالمة تليفونية من الأخصائي الاجتماعي بمدرسة ثانويـــة شـــاع فـــيها تدخيـــن الطلاب للسجائر، فقرر الباحث الذهاب إلى المدرســـة لإجـــراء بحث حول تلك الظاهرة، ولكن قبل ذلك زار الباحث المدرسة لتفقد الوضع والتحدث مع الأخصائي الاجتماعي الذي يعد بمثابة معيـــن للباحث في التعامل مع المبحوثين وفهم لغتهم. وقد حصل الباحث على تصريح لإجراء البحث.

صمم الباحث بعد اختيار العينة البحثية ــ بالتعاون مع الأخصائي الاجتماعي ــ عدد من المقابلات لجمع البيانات حول قصة الطالب ــ عينة البحث ــ كما استخدم مصادر أخرى لجمع البيانات، وهى:

- تقارير حول الطالب من المدرسة.
- تقارير حول الطالب من جهة عمله بالمطعم.
- بيانات عن حالة أسرته الاجتماعية والاقتصادية.
- آراء المحيطين بالطالب حول سلوكياته وحالته العاطفية والمزاجية.
- معلومات عن علاقته بزملائه.

وفيما يلي نص المقابلة:

القصة كما رواها المبحوث	القصة بعد إعادة السرد	إعادة السرد مرة أخرى
نعم توقفت عن التدخين لمدة عام، كنت وقتها اعمل في مطعم وهناك رأيتها وأعجبت بها. وقررت من أجلها التوقف عن التدخين الذي كان يمثل لي لذة ومتعة وكثيرا ما كانت تداهمني نوبات النيكوتين فافقد توازني وارتطم بالحائط. وكان أصدقائي يهربون خارج المدرسة ليدخنوا ويدعونني لذلك. لكنني كنت أتذكرها وأقاوم فأعود للمنزل. ثم اكتشفت إنني كنت أعذب نفسي بلا داع فالفتاة التي كنت أحبها قد خطبت لصديقي فقررت العودة للتدخين وعدم الإقلاع عنه.	توقف أحمد (C) عن التدخين لمدة عام (S) كان يعمل في مطعم(S) عرف فتاة(C) واحبها (A) وكان يعاني من نوبات النيكوتين(A) وضغوط أصحابه(P) لكنه كان يعود للمنزل(A) وبعد فترة اكتشف أن الفتاة خطبت لزميله (C) فقرر العودة للتدخين بلا رجعة (R). **C= Characters** **S= Setting** **A= Actions** **P= Problem** **R=Resolution**	توقف أحمد عن التدخين أحب فتاة عمل في مطعم قاوم نوبات النيكوتين وضغوط أقرانه. عاد للتدخين حينما عرف بخطبة الفتاة لزميله.

وبعد إعادة السرد استنبط الباحث محاور المشكلة، ودعمها بجزيئات نصية من مصادر جمع البيانات. وتتمثل هذه المحاور فى:

التدخين كمتعة	التدخين كثقة بالنفس	التدخين كسلوك اجتماعى
اشعر بلذة حين أطلق الدخان من فمي، وأجد أن طعمه لذيذ.	اشعر إنني بلغت مبلغ الرجال ويحترمني الناس حين أدخن كما اشعر بالراحة. ويساعدني على التخلص من الضغط العصبي.	كل أصحابي مدخنون، وكذلك أبى ومعلمي وكثير من المشاهير. نشعر أنا وأصحابي بالألفة والمرح حين ندخن.

ثـم أعـد الباحـث تقريـر البحث ووزعه على المبحوثين والأخصائي الاجتماعي ومن يهمه الأمر.

تقويم البحث السردي

نظراً لأن البحث السردي يعد أحد صور البحث الكيفي؛ فإنه يجب أن يلـتزم بمعايـير هـذه الفـئة مـن البحوث؛ وفيما يلي قائمة بالأسئلة المستخدمة عند تقويم البحث السردي:

- هل يركز الباحث على خبرات فردية؟
- هل هناك تركيز على فرد واحد أم عدد محدود من الأفراد؟
- هل قام الباحث بجمع معلومات عن قصة فرد وخبراته؟
- هل قام بإعادة سرد قصة المبحوث؟
- هـل عندما قام بإعادة السرد حدث توازن بين صوته وصوت المبحوث؟
- هل حدد المحاور التي انبثقت من القصة؟
- هل تضمنت القصة معلومات عن المكان والسياق؟
- هل تتبع القصة تسلسلاً زمنياً (ماضي- حاضر- مستقبل)؟
- هـل هـناك ما يدل على أن الباحث قد اشترك مع المبحوثين وتعاون معهم؟
- هل تخاطب القصة بشكل ملائم غرض الباحث وأسئلته؟